□ «اقول لك الحقيقة؟ انني اريد مزيداً من النقود. مزيداً من النقود. مزيداً من النقود...»[٢٨].

وسمات هذه الشخصية (الضحية ــ المنفية)، انطلاقاً من تلك التحديدات الروائية، تبدو كما يلي:

أ ــ هي شخصية تحب وطنها وتتعلق به تعلقاً ذاتياً، وكأنه امر خاص بالشخصية، قريب من نفسها، مغروس في وجدانها. ب ــ لقد اقتلعت هذه الشخصية من وطنها، واصبحت لاجئة مشردة، بعد ان قدمت مختلف انواع التضحيات. ج ــ كانت حياة المنفى قاسية، مما حمّل هذه الشخصية العديد من الآلام والهموم، بحثاً عن تدبير امور حياتها اليومية، التي لم تكن سهلة ميسرة. د ــ كانت طموحات الشخصية، في تلك المرحلة، تنحصر في امور ذاتية، تبدأ بالتفكير في النقود وتنتهي بها، لأنها تشكل، في نظر اصحاب هذا التفكير، المنقذ الوحيد للشخصية من ازماتها الحياتية. هـ ــ ان الضغوطات اليومية على هذه الشخصية، جعلتها تفكر في الهرب، وتلجأ اليه، كمنفذ تتسرب من خلاله الى الأمان والاستقرار.

ان هذه الشخصية، عندما تتحرك فنياً، في عالم الرواية، مجسدة في الشخصيات الاربعة، لن تقفز حركتها واتجاهاتها عن معطيات المرحلة. لذلك كانت النهاية التراجيدية، لتلك الشخصيات، منتظرة ومتوقعة، منذ بداية التفاوض على الصفقة. ان طريقاً يحمل شخوصاً ثلاثة، بهموم ذاتية لم توفر لهم التفكير المنطقي الهادىء، ويقودهم فيه رجل كان اسمه... «مزيداً من النقود. مزيداً من النقود. مزيداً من النقود»، لن يؤدي إلا الى موت مجاني، قرب مقالب الزبالة، لا كرامة فيه ولا انسانية؛ كما ان المرحلة لم يكن بوسعها ان تفرز غير هذا النمط من الشخوص.

هل هذه الشخصية، هي ما يطلق عليه اسم «البطل السلبي»؟ فمفهوم السلبية انما يحمل في طياته معنى التخاذل، رغم توفر الامكانيات والقدرات، في حين ان الشخصية التي امامنا، في «رجال في الشمس»، كما هي في الواقع في مرحلتها تلك، لم يكن بامكانها ان تكون غير ما ظهرت به، اذ «لا يتعاطى العمل الفني مع افكار مجردة، بل مع واقع متميز محدد المعالم، اجتماعياً وتاريخياً. فالشخصية الروائية واقع مادي، مرتبط بجملة من الممارسات الاجتماعية التي تمنحه تحدده»[٢٩]. والواقع المادي الذي كانت تنطلق منه تلك الشخصية، مرتبط بممارسات اجتماعية محددة كانت سائدة ومستحكمة، لم يكن بامكانه ان ينتج غير هذا البطل (الضحية ــ المنفي). فهو ضحية كل الظروف التي ادت الى النكبة، وجعلته «منفياً» يبحث عن خلاص من منطق المرحلة، (الجرذان الكبيرة تأكل الجرذان الصغيرة).

وإذا كان صدق غسان الفني، جعل شخوصه تنسجم مع شرطها التاريخي، فهذا لا يعني انه ــ كروائي ــ مجرد ناقل ومعبر عن الواقع. اذ ان انسجام الشخصية مع شرطها التاريخي، في ادبه، يدلل على ان هذا الادب لا يزيف الواقع، بل يحمل بذوراً